الشخصية المستلبة في رواية رائحة الكافور

م.م ايناس عباس جهاد الغالبي

جامعة ذي قار

enasabbasnn@gmail.com

الملخص:

يشغل الاستلاب بكل أنماطه حيزًا كبيراً في الرواية العراقية بعد التغيير، إذ أماط اللثام عن الخيبة التي كَبلت الشخصية العراقية على مدى سنوات طويلة وهو يعيش تحت سلطة الحكم الاستبدادي الذي خلق في الفرد احساسه بالضياع واللاجدوى. وفي رواية رائحة الكافور نلتقي بشخصية أحمد الذي كان ضحية الحرب والأسر فتحولت حياته الى جحيم ، وضاعت آماله واحلامه /فهو يعد نموذجا للاستلاب الناتج عن الحكم الاستبدادي وعلى هذا المنوال تأتي بقية الشخصيات /والتي تتأرجح بين الاستلاب السياسي و المجتمعي والنفسي والجمعي، ولعل السبب الرئيسي لاختيار هذه الرواية هو تجسيدها لكافة اشكال الاستلاب وصوره أما سبب اختيار هذه الثيمة المتمثلة بالاستلاب فإن الأمر يعود لكونه مفهوم فلسفي عميق لا يمكن تجاهله ولكونه يتجسد في حياتنا اليومية إذ يعد ظاهرة خطرة تُنتج انسانًا منهكًا مسلوب الارادة، وفي المجمل فإن البحث يغوص في مكونات الاستلاب وعوامله السياسية والاجتماعية ويطرح رؤية تفكيكية لأسبابه فضلا عن نتائجه.

الكلمات المفتاحية: (الاستلاب، الهوية، الرواية، الشخصية، الذات).

The alienated character in the novel The Smell of Camphor

M. M. Enas Abbas Jihad Al-Ghalibi

Dhi Qar University

Abstract:

Alienation in all its forms occupies a large space in the Iraqi narrative after the change, as it revealed the disappointment that shackled the Iraqi personality for many years while living under the authority of authoritarian rule, which created in the individual his sense of loss and futility. In the novel The Smell of Camphor, we meet the character of Ahmed, who was a victim of war and captivity, and his life turned into hell, and his hopes and

dreams were lost. He is considered an example of alienation resulting from tyrannical rule, and in this way the rest of the characters come which oscillates between political, societal, psychological, and collective alienation. Perhaps the main reason for choosing this novel is its embodiment of all forms and forms of alienation. As for the reason for choosing this theme of alienation, it is due to the fact that it is a deep philosophical concept that cannot be ignored and because it is embodied in our daily lives, as it is considered a dangerous phenomenon that produces a human being. Exhausted and deprived of his will, and in general, the research delves into the components of alienation and its political and social factors, and presents a deconstructive vision of its causes as well as its results.

Keywords: (alienation, identity, novel, personality, self).

المقدمة:

شهدت "الرواية العراقية" بعد احداث نيسان ٢٠٠٣ نوعا من الجرأة والبحث في موضوعات لم يكن الخوض فيها مسموحًا به، وبسبب التغير الاجتماعي والسياسي اتيح للروائيين العراقيين الخوض فيها ومن هذه الموضوعات "الاستلاب" الذي حضر بقوة في متون الروايات العراقية وصرحت به بعدة مقاييس ومستويات منها سياسية تناولت ما مر به العراق من حروب أعقبها بالضرورة حالات اسر واعدام وقتل جماعي ويمثل المستوى الاجتماعي ما مر به العراقيون من فقر وعوز ادى لتدمير شخصية الفرد واثرت على كل جوانب حياته وسيكولوجته ومن ثم بنيته الاجتماعية ومن هذا المنطلق جاء اختيار موضوع البحث المتمثل ب (الشخصية المُستلبة في رواية رائحة الكافور). ولاحظنا أن الموت يمثل علامة مميزة ومشتركة في كل الشخصيات الواردة في الرواية، كان مصير الشخصيات المستلبة هو الموت جراء الاستلاب وقد تضمن البحث ملخصا ومن ثم مقدمة اعقبها تمهيد تضمن

قراءة عامة للاستلاب ومن ثم قُسِم البحث على اربعة اقسام تناول القسم الاول الاستلاب السياسي والثاني الاجتماعي والقسم الثالث تناول الاستلاب النفسي والقسم الرابع والاخير هو الاستلاب الجمعي.

التمهيد: الاستلاب: المصطلح وصوره

يُعد الاستلاب ظاهرة عامة يعيشها المجتمع وتكون على مستويات عديدة منها سياسية وأخرى مجتمعية ، ونفسية وأحيانا تكون أسرية فالأهل بوصفهم سلطة "أبوية" قد يمارسون "الاستلاب" بفرض نمط حياة وتقاليد معينة على الأبناء وهذا الأمر قد يودي الى الانصياع القسري وبالتالي ضياع شخصية الابناء وفقدانهم الشعور بذواتهم أو قد يؤدي في احيان اخرى الى ثورة وتمرد أسري وفي بعض الاحيان يجعل الاستلاب من الشخصية المستلبة ضعيفة هشة مما يودي بها الى الانتحار، إذ فسر (اميل دوركايم) دوافع الانتحار بالقول: إن هناك دوافع عدة للانتحار منها أن يكابد الانسان أحزانا عائلية كبيرة واوجاع منزلية فهدة كلها تودي بالفرد الى الضغط الشديد فبذلك تودي به الى الموت [١] إذ تصف (حنة ارندت) السلطة بأنها ((كل سياسة إنما هي صراع من أجل السلطة ؛ والعنف إنما هو أقصى درجات السلطة)) وأيضا يعبر ماركس عن السلطات بالقول: ((إن الدولة تشكل أداة قمع تمتلكها الطبقة المسيطرة)) [٢] اذن السلطات لها دور كبير في استلاب شخصية الفرد بغض النظر عن وجود الاسباب الاخرى فهذا أدى الى نحر كينونة الانسان وفقدان هويته وذاته، فتحول الفرد الى عبد للظروف والاشياء المحاطة به وشخص عاجز لا ينتمي للعالم الذي يعيشه بل ملحق به وكذلك أصبح صعب عليه التعبير عن قواه الذاتية [٣] يمكننا القول بأن الانسان المستلب لا يمكنه التعايش والتأقلم والانخراط في المجتمع وغالبا ما يبرز الاستلاب في أوقات الحروب وفي المجتمعات التي ينتشر فيها الفقر المدقع إذ يكون الحصول على المال هدفًا للفرد حتى لو أدى ذلك لاستلاب شخصيته وكيانه وعبر(توماس مور) عن هذا الموضوع بقوله : بأن مجتمعه سيء تمامً من خلال الحروب والفقر وينبغي بذلك هدم هذا المجتمع وتعويضه بمجتمع آخر يكون خال من الحروب والفقر) [٤] ؛وأما عن كيفية مواجهة الشخصيات المستلبة للظروف القاهرة المحيطة بها فإنها تتراوح بين الرضوخ التام

والمقاومة العنيفة وقد مر المجتمع العربي بشكل عام بظروف وفترات قاسية حتى أضحى الاستلاب فيها ظاهرة مألوفة إذ يقول د. قيس النوري ((الانسان العربي بعامة والمثقف بخاصة عانى من اغترابات شتى واتسمت ردود افعاله بأشكال شتى تراوحت بين الانسحاب من الواقع الى هامش الحياة أو الرضوخ للنظام القائم والاندماج في مؤسساته أو التمرد بنوعيه الفردي والثوري الجماعي أو الهجرة الى الخارج بحثًا عن فرص افضل في الحياة))[٥] .

وفيما يلي عرض مفصل لأقسام وأنواع الشخصيات المستلبة الواردة في رواية "رائحة الكافور":

القسم الاول : استلاب من قبل السلطة الحاكمة :

كان للأجواء التي عاشها العراق في ظل النظام السابق وما شهده من حروب عديدة دور بارز في شيوع ظاهرة الاستلاب بشقيها السياسي والاجتماعي مع الأخذ بنظر الاعتبار طبيعة الظروف التي عاشها العراقيون من قمع سياسي وكبت اجتماعي، وفي المجمل فإن العنف أدى لعدد من النتائج الهائلة ومن ضمنها الاستلاب إذ يصرح (بيير بورديو) بأن العنف له ثمن على جميع الاشياء على المدى البعيد فيودي الى الانتحار والانحراف والادمان وعلى أشياء اخرى غير محببة للنفس البشرية) [٦] لذا كان الاستلاب السياسي الذي مر به الانسان حاضراً في عالم الرواية ويمكننا تعريته وكشفه عبر تسليط الضوء على نصوص الرواية التي سندرسها، إذ نبدأ بشخصية (أحمد) الانسان المستلب الذي تعرض للاستلاب من قبل أطراف متعددة وإن كان في جوهره هو استلاب سياسي إذ تسرد الرواية تفاصيل الاستلاب الأولى الأسر:((**لا يزال يتذكر تلك اللحظة التي تم اسره فيها عندما وجد نفسه امام خيارين اما ان يقتل نفسه واما ان يسلم نفسه لقوات العدو وما اعقب الأسر من عذاب استمر دهرا ثقيلا من الوحدة والغربة والياس ومختلف صنوف الاهانة المتواصلة لإنسانيته كانت السنوات الخمسة الاولى رقما قياسيا في صنوف العذاب ...**))[٧] تضعنا الراوية أمام اول مشهد وهو لحظة الاسر التي مر بها الشاب احمد إذ عاش لحظة فارقة في حياته مثلت تحولا جذريًا نحو الاسوء بفقد أعز ما يملك الا وهو "الحرية" وهذه هي أعلى درجات الاستلاب وقد قال روسو في كتابه العقد

الاجتماعي ان ((الانسان ولد حرا))[٨] فالطبيعية البشرية تخلق الانسان حراً لكن الظروف المحيطة هي من تقيده بهذه القيود وتسهب الرواية في سرد معاناة أحمد في الأسر **((وتمنى في تلك الليالي الباردة ان يموت وفي جولات التعذيب التي كان يمارسها جلادوه يحضر جسده النحيل باسترخاء لكي يمارسوا ساديتهم في تعذيبه فما ان يسمع صوت جزمة قادمة نحوه يتمدد على الارض ويضع راسه جانبا حماية له من الركلات وفي احدى المرات اخطا احد جلاديه فجاءت الضربة على عينه اليسرى فاطفاتها وفي مرة اخرى حطم فكه بأكمله ... بكى كثيرا لانه لم يعرف سببا واحدا لتعذبيه ...توسل كثيرا لربه ان يميته))**[٩] وفي قراءتنا لهذا النص نجد أنفسنا ازاء ثلاث مواقف خلقت هذا الفعل الدرامي الوحشي "الاستلاب" الذي جسد أبشع حالات اللاإنسانية، إذ موقف احمد الضعيف ،وموقف الدولة التي دفعته للحرب وتخلت عنه وموقف الجلاد الذي مارس القسوة بصورة مروعة ومذهلة ، الامر الذي دفع بطل الرواية لتمني الموت في أكثر من موقف ، حيث وجد نفسه في واقع بائس ولم يكن بوسعه سوى اللجوء لأحلام اليقظة وصنع عالم خيالي مواز يهرب إليه من قسوة السجان، فالحلم يعد نوعاً من الطمأنينة يمني بها الشخص نفسه حيث يستدعي عالم خفي غير موجود ليضفي لحظات من السعادة المؤقتة تخلصه من الواقع الذي رمى به الى هذا المصير المستلب الرخو ، فمن المتعارف عليه بأن الطبقة التي تعاني الاستلاب والعوز هي الطبقة العامة والضعيفة من الشعب والطبقة التي تسلب هذه الحاجات هي الفئة العليا أو المؤسسة السياسية ويكون هذا الاستلاب هو مقصود لغرض الاطاعة فهي تعد صاحبة الامر والنهي [١٠] فنلاحظ احمد هنا وهو في قمة الطاعة والرضوخ وتقبل الواقع ولم يظهر الرفض الا بصيغة تمني الموت وهذا لا يدل على جبن أحمد أو خنوعه بل لكون الأمر أكبر من طاقته فهو استلاب سياسي شامل وعام للمجتمع أو لقطاع معين منه فيستمر أحمد في عالمه الخيالي حتى يقطع خلوته خبر الافراج عنه نقرأ في الرواية:**((سمع صوتا افزعه من الحلم وايقظه من الحلم انه صوت البساطير التي لم يسمعها الا وهي تحمل رعبا استثنائيا اقترب الصوت تدريجيا حتى تاكد له ان الصوت تحول اللا قوة جسدية اقتحمت زنزانته من خلال فتح الباب بطريقة تشبه الاحتلال**

واذا بالجنود الايرانيين يدلفون الى داخل القبور مع تعبيرات في وجوههم بسبب انزعاجهم من رائحة المكان النتنة وحجم الرطوبة التي التهمت الجدران وكان معهم شخص مدني من الصليب الاحمر يتكلم العربية ليخبره بانه من الاسرى الذين سيتم تسليمهم الى العراق بصفقة مبادلة اسرى ...وصلت السيارات الى حدود الوطن جاءت مركبات عسكرية من الجانب العراقي كانت مكشوفة وقديمة تحمل رجالا لا تختلف وجوههم عن وجوه الجنود الايرانيين وحتى طريقة الاداء لم تكن مختلفة في الزعيق والتعالي دفعوهم الى داخل حاويات وتخيل نفسه انه شاه ربما قادوها الى المسلخ))[١١] ليستمر الحوار بينه وبين نفسه حتى جاءت لحظة خروجه الفعلية من ذلك القفص الكئيب الذي عج بالذل والتعذيب، وفي لحظة الافراج التي كان من المفترض أن تكون نهاية لمشوار الألم وبداية التعويض المجزي، كان يرى في هذه اللحظة نهاية للاستلاب وعودة لحضن الوطن والأهل والحبيبة ولكن سرعان ما ينكشف زيف السراب وسرعان ما يشعر أن شيئا لم يتغير فالواقع هو ذاته والشجون ذاتها، وتسرد لنا الرواية تفاصيل العودة وما تبعها من صدمات: **((هل أنت احمد الرجل لايجيب اولا نسي اسمه في السجن حيث كان ينادي عليه برقم وثانيا لم يتحسس هذا العبق الانثوي منذ سنين طويلة... اقترب منه شخص أصلع احمد تريد تسبح اي اريد... فجاة وجد زجاجة مهشمة اقترب منها ليتعرف على وجه شخص فزع فزعا شديدا وهو يظر اليه من خلال المراة بد رجلا مخيفا ذا عينين غائرتين وشعر كث ابيض اللون وفم لم يتبق فيه سوى ناب اخذ شكلا لمسمار وله ابتسامة تشبه ابتسامة ملك الموت ...سال اخويه الصغيرين عما حل بهما بعد أسره :_ تم اعتقالنا ومن ثم قتلنا لاننا شاركا بانتفاضة ٩١...دخلت الى البيت تقربت منه ومدت يدها واصبح اكثر نظارة ولكن فمه المفتوح هو الذي افزعها حيث انه خال من الاسنان حاولوا معه بجميع الوسائل ولكنه كان مصرا ومتعجلا في الرحيل))**[١٢] ما يكشفه لنا هذا النص وما يمكن استخلاصه واستنتاجه منه أن أحمد ضحية الاستلاب السياسي الثنائي قد سلبت منه ثلاث اشياء كانت خسارته فيها فادحة، أولها واقساها سلب الحرية وهو الذي تسبب ضمنيا في الخسارتين الاخريين فقد قضى سنينا طويلة في

الأسر وحيدا بعيدا عن ذويه واحبائه، والخسارة الثانية كانت خسارة الجسد إذ لم يتعرف على شكله المنهك والمثقل بسنين الألم أي أنه قد سلبت منه هيأته القديمة وصورته الأثيرة فأضحى مجرد هيكل خاوي لا روح فيه، والاستلاب الثالث هو فقدان الأهل والحبيبة التي تزوجت في غيابه وتوفيت وهذه هي ثالثة الأثافي وخلاصة الاستلاب الذي جسد الموت المعنوي وهو الذي مهد للموت الفعلي فيما بعد، وقد نجحت الرواية في تجسيد الاستلاب السياسي في صورة شاملة ومحكمة فالرواية ((مراة تعكس الواقع وهي الاداة المعبرة والراصدة لحركة المجتمع ومسار انساقه المختلفة الثقافية والايديولوجية والبراجماتية النفعية وغيرها))[١٣] .

القسم الثاني: الاستلاب المجتمعي

البيئة المجتمعية ركيزة اساسية في حياة الفرد إذ تؤثر فيه سلبا أو ايجابا فالعادات والتقاليد التي تعيشها بيئة أوعائلة معينة لها كل الدور في تحديد سلوكيات الانسان فهي التي تسهم في خلق شخصية منعدمة رثة او شخصية معتدلة متزنة فبذلك يولد الفرد في البيئة ويكون حاملا لهويتها ومتشربًا لافكارها وللبيئة دور في تحديد منظومة الافكار المرغوب فيها في المجتمع كما تحدد معناه وهويته وقد عبر انتوني غدنز عن هذه الحقيقة بالقول ((**منظومة الأفكار التي تحدد ما هو مهم وما هو محبذ ومرغوب فيه وهذه الافكار المجردة او القيم هي التي تضفي معنى محددا يميز هوية مجتمع عن اخر**))[١٤] فالانسان لا يمكن ان يتجاوز هذه العادات فاحيانا تفرض عليه فرضًا نتيجة عوز مادي قيم وعادات لا يمكن تجاوزها إلى استلاب ارادته أو جزء منها وقد تتمرد بعض الشخصيات على هذا الاستلاب وترفضه تماما بعدم تقبلها أو قد تلجأ للانتحار إذا لم تستطع المواجهة فنجد في النص الروائي الذي أمامنا تفصيلا يجسد لنا البيئات الاجتماعية المعاشة وكيف يوثر المحيط الاجتماعي في البيئة بكل تفاصيله وجزيئاته [١٥] فاظهر لنا النص الروائي حالة الاستلاب عبر الحوار السردي الآتي: ((**لم يكن راتب الأب ليكفي لتلبية احتياجات العائلة من كهرباء ونفط وطعام وملابس وقد بلغت الامور حدا لا يطاق فلم تعد العائلة تملك قوت يومها ما دفع الام الى**

التفكير بالعمل في البيوت بينما توجه الاب الى العمل كسائق تاكسي وبينما كان محمد في الجامع تعرف على رجل كبير في السن يعمل سائق شاحنة بين العراق والاردن دعاه محمد الى بيته ليعرفه على عائلته حين دخل الرجل الى بيت محمد كان يشم رائحة غريبة اسالت لعابة واثارت في مشاعرة صوتا كفحيح الافاعي ... طلب الاب من البنات ان يأتين للسلام على عمهن الذي يصلح ان يكون جدا وهو يتلصص بعيني ذئب على فتنة وجمال العيون كان يتلمظ اشتهاء للصغيرات ترى اي واحدة منهن سيتمكن من الفوز بها من هذه العائلة المعوزة))[١٦] يكشف النص عن الفقر المدقع الذي تعيشه العائلة وهو ما يدفعها بطبيعة الحال لاتخاذ قرارات صعبة وغالبا ما تكون النساء ضحية هذه القرارات ويحاول الضيف الثري والعجوز استغلال حاجة العائلة للظفر بإحدى بناتها وإن كان قد حاول اخفاء النية بتقمص شخصية زائفة ومخادعة إلا أنها مكشوفة ورغم ذلك تبدو الأسرة ميالة للتضحية بالبنت لأن النساء هن من يتحملن العبء الأكبر فيها لكونهن الحلقة الاضعف في الأسرة وتكون في منزلة اقل من الرجل بسبب فرض القيود من قبل المجتمع فتعطي الدور للرجل والهامشية للمراة [١٧] ثم تكشف الرواية تفصيل صفقة الاستلاب بين الأهل والخاطب العجوز:

((شنو رايك ابو محمد بخطب وحدة من هالصبايا والله بعيشها ملكة

_ حجي غير اولادك هم اللي يتزوجوا مو لازم يشوفون اللي يرتبطون بيهن هذا الزمن غير

_خالتو انا بطلب ايد العروس الي

_ تدخل الابن بحكمة اتركنا نفكر ونرد عليك اعطينا رقمك

_انتظري ساوصلك الى الجامع

_ شوف عمو محمد ... الناس بتكتل بعض على الليرة وهايي اما داخل من الباب بدي استر على اختك ومنها افيدكم كمان

فقد يكون بالنسبة للوالدين حلا مثاليا للتخلص من المسوولية التي اصبحت تثقل كاهل العائلة تسمرت أزهار على الكرسي صامتة هل هو الرجل الحلم الذي طالما انتظرته هل تخبر صديقاتها

بانها ستتزوج خارج العراق هل ستهرب من عذابات الحروب والحصار))[١٨] تؤدي شخصية أبو محمد في هذا النص دور الأب اللامسؤول والذي يحاول التخلص من بناته عبر تزويجهن بأي طريقة فهو يرى فيهن عبئًا اقتصاديًا وهذه الظاهرة منتشرة في المجتمعات الفقيرة وإن هذه الحالات غالبا ما تؤدي إلى نتائج كارثية ليس أقلها البغاء كما يقول: ((لان هناك حالات يتم الزج بها في البغاء أو بيعها تحت مبررات الفقر))[١٩] وفضلا عن كون المرأة قد زوجت نتيجة فقر فهي مسلوبة الارادة وبمثابة سلعة مشتراة عند زوجها نجد أن المجتمع متمثلا بالعادات والتقاليد قد سلب المرأة بالضرورة جزءًا من حريتها وكيانها، وبذلك كانت العلاقة بين أزهار وزوجها هي علاقة استلاب تامة الاركان، وتوضح لنا الرواية جانبا من موقف ازهار التي رضيت بالاستلاب ضمنيا ما دام سيعود بالنفع على ذويها: **((اووووف يمه .. صعبة أضيع الفرصة وصعبة أقبل بيه . ما ارتاحيت له من شفته بس أنا مجبورة أقبل وأنا أشوف حالتكم وأرجع وأقول شراح يسويلي أعيش وياه بسلام اتخذت قراري وتوكلت على الله هرع محمد الى الباب ليرى ان امجد قد وصل كان الرجل يرتدي بنطالا قصيرا متسخا بالزيوت وبقايا طعام وقميصا طويلا مهترئا وشكله ينم عن انه سائق شاحنة او اقل سال الشيخ كم مهرها**

_سكت الاب واجاب العريس

_دينار وماهو هو الموخر

_قران

قفز الابن محمد

_نعم موافق

سكتت البنت وفكرت بانها ستبيع نفسها للمجهول وانها الان في يدها مبررات الرفض ولتقل له لن يستطيع نهش جسدها دون ثمن

لا أقبل بالزواج منه ودعه يخرج خارج البيت))[٢٠]

فرض المجتمع والفقرعلى شخصية أزهار واهلها السير نحو المجهول حتى أصبحت سلعة للبيع بسبب حاجة العائلة واتخذوها وسيلة للكسب المادي فتمثلت صور الاستلاب هنا بطابع اجتماعي بسبب الفقر المادي الذي تعانيه العائلة فالسالب هنا الاهل لكن في شخصية أزهار نجد ملامح الرفض بدأت حين معرفتها بالمهر فالتمرد الذي يظهر عند بعض الشخصيات هو بسبب المحاولة في تخطي حالة العجز والخواء الذي يعاني منها المجتمع وذلك يقوم بمواجهة رموز القهر والاستبداد حتى يغير واقعه من خلال الرفض والثورة [٢١] لكن الظروف القاسية للعائلة أحالت دون ذلك **((تهستر الرجل ومعه الاخ محمد وراح يصرخ خارج البيت**

_اريد زوجتي .. اريد زوجتي

تنبه افراد الاسرة الى انهم كان من الممكن ان يسقطوا فريسة لرجل جشع بسبب العوز وتهور الابن النذل الذي كان يريد ان يبيع اخته زجت ازهار نفسها في عالم جديد مرت الاسابيع والاشهر وهي تلح عليه ان يسمح لها بالحديث التلفوني مع اهلها وهي سجينة الدار ولكن دون جدوى دخل عليها ذات يوم ومعه شاب ونادى عليها

_انت مش بدك تروحي لعند اهلك

_ اي طبعا ابوس ايدك ورجلك

واعربت عن حاجتها لاي مبلغ يسترها بالطريق صرخ عليها

_ انقلعي ماعندي شي مش كافي اوكلك واشربك بدون فائدة

_ روحي انت طالق يا حيوانة

_ماقصرت

_التفت الى الشاب انا جاهزة خوية دلفت الى السيارة بسرعة صعدت معه سيارته مرت ساعتين ونصف فاجاتها ترحيب من الجمهوية العربية السورية تعجبت))[٢٢]

يكشف لنا هذا النص معاناة أزهار كفتاة مستلبة في منزل الزوج وكيف كانت تعاني من المعاملة السيئة والمفرطة في القسوة حيث تم تجسيد الاستلاب بكل تفاصيله وتمضي الرواية لتنقلنا لحالة إتجار بالبشر فالزوج لم يكتفِ بسلب روح أزهار وجسدها إنما قام ببيعها ونقلها لِمُشترين جُدد: ((**ضغط خليل على منبه السيارة بعنف ولم ينزل منها فتحت له الباب سيدة كبيرة بالعمر تشبه النساء الغجريات نادت عليها السيدة التي استقبلتها ان تاخذ حماما ساخنا وتغير ملابسها استغربت من طلبها نظرت للملابس فوجدتها ملابس خليعة لم ترها من قبل الا في الافلام ...هل انت شاطرة في امتاع الرجل لدي رجل يعاني من مشاكل ويحتاج لفتاة مثلك وان لم تفعلي ذلك فلن تخرجي من هنا الا وانت جثة سأفعل ما تردين ولكن اسمحي لي ان اعد لنفسي شايا دخلت المطبخ بحثت فورا عن علبة كبريت لتوقد عود ثقاب كان كفيلا بانتشار النار في ملابسها فصرخت صرخة الانتصار بالموت وبقيت فاقدة للوعي اكثر من تسعة شهور**)) [٢٣] لاحظنا في قصة أزهار أن الاستلاب في حقيقته هو استلاب مجتمعي فرضته العادات والتقاليد وهو راجع في جزء كبير منه إلى الفقر المادي والعوز الذي أجبر العائلة على تزويج "بيع" ابنتهم لرجل ثري وإن كان فرق العمر بينهما شاسعًا، ثم تطور هذا الاستلاب إلى استغلال بشع ومتاجرة بالبشر ولاحظنا أيضا مظاهر التمرد والرفض بارز عند أزهار في حالتين الاولى رفضها الزواج عند معرفتها بالمهر المنخفض والمجحف والثانية حرقها لجسدها رفضا للامتهان والاستغلال الجسدي وحفظًا لشرفها وكينونتها من الضياع ((فالفرد هو جزء من كل اسمه المجتمع بما يتضمنه ويحويه من علاقات وتفاعلات وادوار وثقافة وتوطن وانتقال وعاطفة وسلوكيات وغيرها ورحيله كيكان لا يتمثل بتفتت واختفاء جسده فحسب وانما اقتطاع جزء من ذلك المجتمع))[٢٤] وهكذا كانت خاتمة حياة أزهار التي كُللت بالحزن ،والاستلاب ، والموت أيضا.

القسم الثالث : الاستلاب النفسي

تعد البيئة النفسية عاملاً ضرورياً لتعايش الإنسان مع نفسه ومجتمعه تعايشًا سليمًا لما لها من أهمية كبيرة في تحقيق السلام النفسي والوئام الداخلي، وكان عالم النفس الشهير سيغموند فرويد مؤسس

مدرسة التحليل النفسي دوراً بارزاً في الكشف عن العوامل النفسية اللاشعورية التي تتحكم في تصرفات الإنسان وتسمى نظريته في الشخصية باسم النظرية الدينمية لانها ركزت على الدوافع والعمليات النفسية المتغيرة والقوى اللاشعورية التي توثر على سلوك الانسان فاطلق عليها بنظرية سيكولوجية الاعماق حيث توثر على مخزون اللاشعورعند الفرد [٢٥]) إذ هناك علاقة مترابطة بين سلوكيات الفرد وما يعانيه من شعور ونجد ذلك في شخصية عذراء التي تناولتها الرواية واماطت اللثام عن دواخلها النفسية إذ نجد فيها: **((وبينما تعد الخبز بواسطة التنور الطيني الواقع على سطح البيت نادت على عذراء زوجة اخيها الكبير لم ترد عليها هذه واستغربت من صمتها وقد تعودت منها الطاعة للجميع والخوف من ردود افعالهم صرخت عليها**

اين انت؟

اجابتها وهي قريبة جدا من الباب وعباءتها على راسها وعلى عجالة من امرها وتركض

نعم

ردت وصوتها يرتعش

الى اين ذاهبة ؟

اكاد اختنق اريد ان اتنفس لخمس دقائق وارجع

لا تتاخري وتعالي بسرعة ساعديني

نعم

وهمت راكضة الى الباب ورضيعها على صدرها يصرخ اوقفت سيارة الاجرة وقالت له وهي تختض قرب الجسر عمي [٢٦]) يكشف الحدث عن ردة فعل قاسية نتيجة لضغط نفسي مكبوت منذ سنين، وقد أدى هذا الكبت إلى فقدان التوازن النفسي لدى عذراء مما حدا بها لإنهاء حياتها في تعبير صارخ عن التمرد ورفض الواقع المر، حيث تضافرت العوامل النفسية والاجتماعية المتمثلة بالفقر على استلاب شخصيتها وكينونتها:

((بالقرب من الجسر صاح بها السائق :

عمي .. انت يا بنية .. وصلنا

قامت هي برمي محفظتها نحوه وفتحت باب التاكسي وركضت مثل المجنونة باتجاه النهر تفحص السائق محفظة النقود فوجدها فارغة الا من بعض العملات الصغيرة التي تدل على كونها فتاة فقيرة وراح يهرول وراءها وهو ينادي عليها فلاحت له وهي تخلع عباءتها وتتجه نحو النهر كانت النساء تموت هناك بسب الفقر والظلم الاجتماعي اقترب منها ولكنه لم يلحقها حيث القت بنفسها وصغيرها في النهر وقرر دماغه ليرمي نفسه وراءها ولكن لا اثر للفتاة ورضيعها وحين وصل الى سطح النهر وجد الرضيع يطفو بخرقه البالية على ضفة النهر))[٢٧] تكشف الروائية في خطابها عن حالة الاستلاب من قبل أهل الزوج و التي انتجت شخصية منهكة وصورت حالة الخضوع التي تعيشها مما أدى الى خروج عذراء عن الاطر الاجتماعية والدينية ونحن نعرف بأن الدوافع النفسية لها أثر كبير على ما يقوم به المرء حيث تمثل ((حالات الاحباط الشديد التي جعلتها غير قادرة على احتمال ما لا قته من مواقف شديدة وما اعترضها من مشكلات مما جعلها تسعر بالقلق وعد الارتياح اذا ما حال بينها وبين ما تبتغيه من غايات واهداف))[٢٨] فادى ذلك إلى ازدياد معاناتها وسوء حالتها النفسية وتصفت الرواية لحظات ما بعد الانتحار: **((تجمهر الناس ليفهموا ما حصل اخذ الضابط يفتح المحفظة يفتح المحفظة فوجد بعض الصور القديمة لمراة ورجل تعرف احد الشباب على صورة الشاب هذا الشاب توفي بالسرطان قبل سنة بسبب اليورانيوم وقفت سيارة الشرطة وطرق باب بيت عذراء من هذه الفتاة التي انتحرت زوجة ابني مريضة نفسيا هل لديك تقارير طبية لا طرق الباب المقابل لبيت عذراء اطلت من الباب راس سيدة كبيرة خالة هل كانت مجنونة شعرت العجوز بهلع وحزن لموت عذراء تلك الفتاة الرقيقة التي يا ما جلبت لها الخبز))**[٢٩] فوضحت الرواية أوليات وجذور الذي كان يمتد إلى الفترة التي سبقت زواجها حيث عاشت مع خال جائر ومن ثم عائلة عاملتها بقسوة شديدة وزوج توفى في مقتبل شبابه وظروف اقتصادية صعبة أدت بها الى فقر شديد

فالواقع الاقتصادي الذي تعيشه المرأة يسهم في تفاقم احساسها بالضعف وتبقى أسيرة عجزها وجهلها[٣٠] وهنا يتجلى العامل النفسي الذي هيمن على شخصيتها فادى بها إلى الموت، وهذا التصرف يعد ادانة لبيئة تجهل حقوق الانسان النفسية والجسدية وتظهر شخصية عذراء بصفة الانسان المستلب والمطارد من قبل جميع الاطراف حيث شعورها بالضعف والانهرام من واقها البائس.

القسم الرابع: الاستلاب الجمعي (المركب)

تمثل الظروف والاوضاع السلبية التي يمر بها أي بلد انحدرا في الميادين الاقتصادية والاجتماعية فضلا عن تردي الواقع السياسي مما يؤدي في النهاية لسلب حرية الفرد ووضعه ضمن اطار يقيد حركته ويسلب حريته ويجعله أسير الفقر والعوز، والعراق من الدول التي عاشت هذه التجربة المرة وتسلط رواية "رائحة الكافور" الضوء في جانب من جوانبها على هذه المسائل "الاستلاب المركب" كما في قصتي "سمر وفوزية" ولتجنب التكرار في أخذ النماذج القصصية في الرواية فسوف يتناول هذا البحث بالدراسة قصة فوزية فقط، فنطالع في الرواية وصف سردي لبداية الحكاية: **((صرخ الطفل جابر بكل قوته وهو يتلوى الما قبل ان ينقض على صديقه المشاكس سبا وشتما فما كان من حسين الا ان تفاحش في السب ووصف جابر بانه اخو فوزية القحبة تعمل فوزية مسؤولة حسابات في البلدية براتب يعتبر مغريا ولا تتأخر عن مساعدة احد هذا كل ما يعرفه حابر عن شغل فوزية من خلال سماعه للاحاديث المنزلية لمح اخته وهي تسحل قدميها وقد بدا عليها الارهاق لن اذهب الى المدرسة بعد اليوم ما لم تذهبي غدا الى هناك وتعالج ما حدث قامت بتجهيز الاكل وتفقدت اخوانها الصغار حرصت على تمثيل دور السعيدة هدأت الاجواء قليلا بعد ما بذلته من جهد جسدي ونفسي))** [٣١] افتتحت الروائية المقطع بشخصية فوزية المنهكة فتخبرنا عن شدة الاستلاب والقهر من قبل العائلة فالخطاب هنا واضح بين شخصية (فوزية وجابر) وكان يحمل كمية من الاستلاب الجمعي الدال على استلاب العائلة والمجتمع والنظام السائد وادى ذلك الى استلابها نفسيا ايضا لما تحمله من تعب وارهاق فنجد تشويه السمعة واللمز بالشرف حاضرا وواضحا من خلال تلميذ صغير

فهذا يدل على تشويه سمعتها مجتمعيا لان ما يلفظه الاولاد يكون تريدا لكلام سمعوه من الاهل حيث ادهشتنا الراوية ببقية الاستلاب التي تعرضت له: **((قاربت الليلة على الانتهاء ولم ترجع الفتاة استيقظت الام قبل اذان الفجر لتفتش عن بنتها فلم تجدها في فراشها وحين فتحت الباب وجدت ...جثة مفصولة عن رأسها فان قلبها لا يخطى في ان هذا الشعر الغارق بالدماء هو شعر ابنتها صرخت فوزيييييييييييية .. فقد طالها العبث الدموي لحملة الرئيس الايمانية عندما تكفل فدائيو صدام تنفيذا لتوجيهات مباشرة من نجل الرئيس بقتل بائعات الهوى وتطهير البلاد منهن ورمي جثثهن في الشارع))** [٣٢]

نقف في هذا النص على أنواع كثيرة من الاستلاب وأولها القتل فيعد هذا انتهاك لشخصية الفرد لأنه لا يجوز مهما يكون ذنب الانسان فلا يحق لأي شخص ان يسلب حياته منه وهناك استلاب آخر وجدناه في آخر النص التي أدت في تسريع استلاب فوزية وهو الفقر الذي جعلها تلجأ لطريق البغاء وكونها شخصية مسؤولة عن أهلها بالكامل وهذا أيضا استلاب لشخصية فقدت شبابها وحياتها فكل هذا الانواع المستلبة التي مرت بها انتهت باستلاب سياسي وهذا ما جعلها في مواجهة عنيفة مع السلطة السياسية أدت بها إلى القتل وما متعارف بان الشخصية عندما تكون في كامل أوجها تحتاج إلى عدة احتياجات منها حاجة إلى مكانه واعتراف وحاجة الى اهتمام ورعاية من الاخرين وحاجة إلى راحة جسمية وحاجة إلى الاستقلال [٣٣] وما وجدناه في شخصية فوزية يخالف هذا تماما .

الخاتمة :

بعد الاطلاع على الرواية كاملة وجزء من المصادر وتشخصيها وتحليلها توصل البحث الى نتائج مقتضبة وهي:

نلاحظ الربط بين الرواية كاملة هو (الموت) فكل الشخصيات تنتهي رحلتها بالموت ابتداء من شخصية أحمد الذي انتهت حياته نتيجة التمرد السياسي الذي عانى منه وأيضا استلب منه القدر حبيبته وجسده وأهله واخوته الذين انقتلوا في الانتفاضة فالرواية عبارة عن قصص منفصلة لكن الرابط

بينهما هي شخصية ميسلون التي تتحدث هي عن هذه الشخصية وبعد اختتام كل قصة تسرد لنا الراوية مقطعا من قصة ميسلون ثم تبدا بسرد قصة جديدة أما الشخصيات الاخرى فأحيانا تجعل هناك حورا بينهم واحيانا اخرى هي من تتحدث عن هذه الشخصية.

أما الشخصية الاخرى فتمثلت بشخصية أزهار التي انتهت حياتها بالانتحار فعانت من ظلم الاخ ثم ظلم الزوج والبائع وشخصية المرأة المشترية التي ثم ظهرت لنا شخصية عذراء المستلبة نفسيا وأما شخصية سمر وهي جزء من قصة عذراء ولم يرد ذكرها في البحث لأنها أيضا عانت من استلاب جمعي من قبل الاهل والمجتمع والسياسية التي أدى بقتلها ومن ثم شخصية فوزية وانتهت الرحلة للرواية كلها بالموت.

مثل الاستلاب الاجتماعي حصة الاسد في الرواية فهذا يدل على ما للمجتمع من دور أساس في شخصية الانسان فقد استحوذ وتسيد على شخصيات الفرد.

نجد الاهل لهم دور واضح وصريح في الشخصية فلهم دور أساسي في ظلم الاولاد حيث نعرف ما لبيئة الانسان التي يعيشها الدور الاكبر للشخص أما بجعله شخصية قوية قائمة بذاتها أو شخصية خانعة تتم مصادرة حقوقها والفقر أيضا وجدناه أخذ دورًا رئيسيًا وسيطر على سيكولوجية الفرد.

تناولت الرواية قصص مأساوية لأفراد غالبيتهم من النساء وإن هؤلاء الأبطال غالبا ما تنتهي حياتهم بالموت.

ركزت القصص على حياة الطبقة الفقيرة والكادحة التي تمثل القاع في المجتمع لأنها تمثل الغالبية في أغلب المجتمعات ولم يرد فيها قصص عن الطبقة الغنية المترفة.

التمرد في هذه القصص التي وردت في الرواية غالبا ما يكون ضعيفا وأقصى ما يصل إليه هو إيذاء النفس بالانتحار باعتباره الفعل الوحيد الذي يستطيع الانسان المستلب التعبير فيه عن رفض الواقع.

الهوامش:

[١])ينظر : الانتحار :تاليف دوركايم :ترجمة :حسن عودة : وزارة الثقافة ؛ دمشق ؛ ٢٠١١؛ ١٦٤.

[٢])في العنف : حنة اردنت : ترجمة ابراهيم العريس ؛ دار الساقي ؛ ط١ ؛ ١٩٩٢ ؛ بيروت ؛ ٣١ .

[٣])ينظر :مفهوم الانسان عند ماركس : اريك فروم : ترجمة محمد سيد رصاص ؛ ط١ ؛ دار الحصاد ؛ سورية ؛ ١٩٩٨؛ ٧٠.

[٤] (ينظر : الفلاسفة والحرب : د فتحي التركي : تعريب : زهير المدنيني ؛ ابن النديم للنشر والتوزيع ؛ ط١ ؛ الجزائر ؛ ٤١ .

[٥])الانثروبوجيا النفسية : د قيس النوري : بغداد ؛ ١٩٩٠؛ ٣ .

[٦]) ينظر : العنف : اعداد وترجمة : عزيز لزرق ومحمد هلالي ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ط١؛ ٢٠٠٩؛ ٧٧.

[٧])راءحة الكافور : ميسلون فاخر ، دار سطور، ط١؛٢٠١٨م ،١٢.

[٨])الاستلاب :هوك لوك روسو هيغل فويرباخ ماركس :ترجمة :فالح عبد الجبار : دار الفارابي " بيروت ؛ ط١ ؛ ٢٠١٨م : ٤٨ .

[٩])رائحة الكافور: ١٣.

[١٠]) ينظر : منظمات المجتمع المدني والحاجات الاساسية لحقوق الانسان بحث في سوسيولوجية الاستلاب والاشباع : حسن جاسم راشد الشمام ؛ جامعة الموصل ؛ كلية الاداب ؛ مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية ؛ المجلد |٤|السنة|٤|العدد|١٥؛ ١٥_١٦.

[١١])رائحة الكافور: ١٥_٢٠.

[١٢])المصدر نفسه : ٢٧_٣١_٣٣_٤٠_٤٢_٤٣.

[١٣])النسق المضمر في الرواية القطرية : مرسل خلف الدواس ؛ كلية الاداب والعلوم ؛ جامعة قطر ؛ يناير ؛ ٢٠١٩م ؛ ٧٦ : رسالة ماجستير .

[١٤]) علم الاجتماع : انتوني غدنز ترجمة : د. فايز الصياغ : ؛ المنظمة العربية للترجمة ؛ بيروت ؛ ط١ ؛ ٢٠٠٥م ؛ ٨٢.

[١٥]) ينظر : انفتاح النص الروائي النص والسياق : د .سعد يقطين ؛المركز الثقافي العربي ؛ الدار البيضاء ؛ ط٣ ؛ ٢٠٠٠م ؛ ١٤٠ .

[١٦])رائحة الكافور : ٤٩؟٥٠.

[١٧])ينظر : الجندر ؛ الابعاد الاجتماعية والثقافية ؛ د عصمت محمد حوسو ؛ عمان ؛ دار الشروق ؛ ٢٠٠٨م ؛ ٤٧ .

[١٨])رائحة الكافور : ٥١_٥٤.

[١٩])جائعون للجسد دراسة في سوسيولوجيا البغاء والاتجار بالنساء في العراق : علي كريم السيد ؛ دار ومكتبة عدنان ؛ ط٢؛ ٢٠١٩م؛ ٨١.

[٢٠] رائحة الكافور : ٥٦_٦٤.

[٢١])الاتجاهات الفكرية في الرواية العراقية ١٩٤٨_١٩٨٠دراسة نقدية ؛ د صبا علي كريم المعموري ؛ط١؛ دار الشوون الثقافية العامة _بغداد ؛ ٢٠١٩م؛٢٧.

[٢٢]) رائحة الكافور : ٦٥_٧٣.

[٢٣]) رائحة الكافور : ٧٦_٨٠.

[٢٤]) حفريات في الجسد المقموع مقاربة سوسيولوجسة ثقافية ؛ د. مازن مرسول محمد ؛ منشورات الاختلاف ؛ الجزائر ؛ ط١ ؛ ٢٠١٥م ؛ ٢٠٥ .

[٢٥]) ينظر : مدخل الى علم النفس ؛ د. عماد عبد الرحيم الزغول د . علي فالح الهنداوي ؛ مراجعة : أ.د ماهر ابو هلال ؛ ود. فدوى المغربي ؛ دار الكتاب الجامعي ؛ ط٨؛ ٢٠١٤م؛٤٠١.

[٢٦]) رائحة الكافور :٨٥_٨٦.

[٢٧]) رائحة الكافور : ٨٧_٨٩.

[٢٨])علم النفس العلاجي : الدكتورة اجلال محمد سرى ؛ علام الكتب ؛ القاهرة ؛ ط٢ ؛ ٢٠٠٠م ؛ ٤٧ .

[٢٩]) رائحة الكافور : ٨٩_٩٣.

[٣٠]) ينظر : الاتجاهات الفكرية في الرواية العراقية ١٩٤٨_١٩٨٠دراسة نقدية : د. صبا علي كريم المعموري ؛ دار الشوون الثقافية العامة ؛ العراق بغداد ؛ ط١؛ ٢-١٩م ؛ ٥٤ .

[٣١]) رائحة الكافور : ١٣٥ _ ١٤٠.

[٣٢]) رائحة الكافور : ١٤٤_١٤٥.

[٣٣]) ينظر : علم النفس الاكلينكي : جوليان روتر ؛ ترجمة الدكتور عطية محمود هنا ؛ مرتجعة : الدكتور محمد عثمان نجاتي ؛ دار الشروق ؛ ط٢؛ ١٩٨٤م؛ ١١٠.